

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[249] دليل على قيّوميته ومالكيتته. بيدَ أنَّ بعضهم يظنُّ أنَّ الشفاعة في المفاهيم الدينية تشبه التوصيات والمحسوبيات والمنسوبيات، وأنَّ مفهومها العام هو السماح للإنسان أن يرتكب ما يشاء من المعاصي، ثمَّ يتوسَّل بالشفاعة لغفران ذنوبه كلَّها بيسر وسهولة ! ! ولكن الأمر ليس كذلك، فلا المعترضون أدركوا شيئاً من منطق الدين في موضوع الشفاعة، ولا العاصون المتجرِّئون على حدود الأ فهموا ذلك. فالشفاعة التي يقوم بها بعض عباد الأ المقرَّب بين يمكن اعتبارها - كما قلنا - شفاعة تكوينية تتحقَّق بواسطة عوامل طبيعية، كما تتحقَّق في بذرة النبات. وكما أنَّ البذرة لاتنمو إن لم تكن فيها عوامل الحياة حتَّى لو سطعت عليها الشمس وهبَّت عليها الرياح وهطل عليها المطر الهتون سنوات طويلة، كذلك شفاعة أولياء الأ لغير المؤهَّلين، لن يكون لها أيُّ أثر، أو قُلْ إنهم لايمكن أن يشفعوا لأمثال هؤلاء. الشفاعة تستلزم نوعاً من العلاقة المعنوية بين الشفيع والمشفوع له. لذلك فإنَّ على من يرجو الشفاعة أن يقيم في هذه الدنيا علائق روحية مع من يتوقَّع شفاعته. وهذه العلائق ستكون - في الواقع - وسيلة من وسائل تربية المشفوع له بحيث إنَّها تقرِّبه من مدرسة أفكار الشفيع وأعماله، وهذا ما سيوصله إلى أن يكون مؤهَّلاً لنيل تلك الشفاعة. وبناءً على ذلك، فالشفاعة عامل تربوي، وليست نوعاً من المحسوبة والمنسوبة، ولا ذريعة للتنصُّل عن المسؤولية. ومن هذا يتَّضح أنَّ الشفاعة لا تغيِّر إرادة الأ بشأن العُصاة المذنبين، بل أنَّ العاصي والمذنب - بارتباطه الروحي بشفيعه - يحظى بتربية تؤهِّله لنيل عفو الأ تعالى(1). _____ 1 - في المجلد الأول من هذا التفسير بحث وآف تحت عنوان "القرآن والشفاعة". راجع ص 163 منه.